الحلة: جورنيكا القرن الحادي و العشرين

باقر جاسم محمد

الحلة مدينة الحلم، مدينة الطيبة والتسامح والمحبة، مدينة العلم والأدب، المدينة التي كانت منتجعا جميلا حتى أواخر ستينيات القرن العشرين. ففي صيف عام ٢٠٠٢ ذهبت الى محل للتصوير يقع في شارع أبي القاسم وشاهدت صورة كبيرة ملونة لمدينة الحلة مأخوذة في منتصف الستينيات ومن أعلى برج البلدية وكانت المدينة خضراء ونظيفة وتبدو مثل مدينة في فرنسا أو سويسرا. رأيت الى جانبي شابا في العشرينيات من عمره فسألته: هل تعرف المدينة التي في هذه الصورة؟ نظر الى الصورة بإمعان و قال: كلا؛ فلم يسبق لي الذهاب الى الخارج قلت: ولكنها مدينة الحلة! نظر مرة ثانية، و ظهرت على وجهه تعابير الدهشة ثم الابتسام ثم قال بصوت فيه رنة الاكتشاف: نعم أي والله هذه هي الحلة. لكن ما الذي أحالها الى ما هي عليه الآن يا عم؟ فقلت ساخرا: إنه التطور. ولم أزد لأن الصنم لم يكن قد سقط بعد. هذه المدينة هي التي انقلبت الى (خرابة) في زمن البعث الفاشي، والى هذه المدينة يقدم لها أمير الظلام و دراكيولا القرن الحادي العشرين (الزرقاوي) هداياه من موت وجريمة فيفجر واحدة من سياراته المفخخة في قلب المدينة مستهدفا مكانا يعج بالسابلة والبائعين والمرضى والناس الذين يبحثون عن شهادة طبية تثبت سلامة بصرهم حتى يجدوا عملا في التعليم أو في مهنة سياقة السيارات أو في الشرطة الوطنية ليحيل كل هؤلاء الى أشلاء ممزقة ومختلطة ببعضها وليضيف الى قائمة اليتامى والأرامل أعدادا كبيرة. هؤلاء الأبرياء يشرف حذاء كل واحد منهم كل الزرقاويين وأتباعهم من فقهاء الظلام و سياسيي الكذب و النفاق.

نعم. هذا هو هدف الزرقاوي المثالي: القتل والدمار وخدمة لأطراف داخلية. والنتيجة جريمة توفرت لها كل أركان البشاعة و أدانها ساسة وزعماء دول كثيرة وصمت عنها العرب. أما الجورنيكا فهي مدينة أسبانية آمنة قصفها الألمان خدمة لأطراف داخلية أيضا وكانت نتيجتها جريمة بشعة صورها الفنان العالمي بيكاسو في لوحة مثلت علامة مهمة في تأريخ الفن في القرن العشرين . فمتى يتصدى فنانونا ذوو الرؤى الإنسانية لتخليد شهداء هذه الجريمة؟

نعم. هكذا هو هدف الزرقاوي المثالي وهدف المتعاونين معه: أشلاء لرجال ونساء وأطفال مختلطة ببعضها ودماء هي نجيع طهور... وهكذا تفضح دماؤنا الجلاد مرة أخرى. ولكن الى متى نظل ندفع أنهارا من الدماء الزكية؟ والى متى نظل قانعين بدور الضحية؟ وهل تكفي دنانير حكومة علاوى في مواساة الأرامل واليتامى؟ و الى متى تظل هذه الذئاب تسرح وتمرح في أرض الرافدين فتضرب يوما في كربلاء وآخر في الكاظمية وآخر في الموصل وآخر في المسيب و آخر في الحلة؟ متى نعالج الأسباب دون إهمال النتائج؟ فالزرقاوي الغريب عن العراق وعن العروبة وعن الإسلام ما كان له أن ينجح في جرائمه بحق الشعب العراقي لو لم يجد حاضنة مناسبة له. لذلك نقول للحكومة القادمة: لقد طرحتم أثناء الانتخابات شعار "حين يفشل الآخرون نتقدم نحن"، وحتى لا تفشلوا أنتم أيضا نقول لكم: لا تنشغلوا بقتل البعوض فقط وإنما جففوا المستنقع. وحينذاك يمكن لكم أن تحققوا ما لم يحققه الذين سبقوكم، وأن تنهضوا بالبناء في سياق من سيادة الأمن والقانون. والشعب العراقي الذي اكتشف قوته في يوم الانتخابات المشهود، هذا الشعب ينظر وينتظر ويصبر ولكنه لن يعذر.

قراءة في كتاب (العبيد) للقاص لؤي حمزة عباس

سلطة الحلم و وهم الحقيقة

خضر حسن خلف

عند الوهلة الاولى في معاينة غلاف الكتاب لفتت انتباهي عبارة تعريفية: "كتاب قصصي". ان اشارة مثل تلك التي تتصدر الغلاف قبل العنوان ، تستدعي وقفة محاورة منا ، لنتأمل ما وراءها من قصد.

فالاستدلال الاولي يحيلنا إلى وعي ، يفترض تهشيم توقع سابق لدى القارئ على صعيدي البناء والرؤية. وربما يتعدى ذلك إلى ايماءات متوازية في مفاصل القص المتعدد الابعاد. وقد تفترض - مثل هكذا اشارة - ان خصوصيات السارد تستدعي استدراجاً لافتاً لها. في توجه ثيمي لن يتغير بتغير الزمان والمكان. وعبر تفاعل المؤثرات المحيطة لشخوص مختلفين في التوجه والطباع.

ولأجل تحديد الهدف مسبقاً، والشروع في مد خيوط التواصل "حيث تصير الدلالة جزءاً من الحضور، ومكوناً من مكوناته، كما يمكن ان يكون دالاً بحضوره الانطولوجي، كدلالة النص على كاتبه". نراه يشدد على السياق الذي اختطه.لا باعتباره فرضاً لحل امثل في القراءة، ولكنه يسهم في اعلاء شأن التوتر الذي سيحصل بين نظام البنية المفترضة وآليات اشتغالها وبين المتلقي ونزعات اسئلته المفتوحة.

فيسحب "خطوة" كي يحافظ على انسجام انتاج المعنى وتلقيه عند الآخر: (في المساء كانت الخطوات قد اصبحت مسموعةً مثل دفقات ريح عاصف تشدها ايد خفية فتتصاعد من ظلمة القيعان العميقة مفعمة بملامح العبيد وروائحهم: روائح الغابات البعيدة وهم يستجيبون، باحتراف ابدي لرغبات اسيادهم) ص٧, تلك الخاصية، كانت الاساس في بناء القصص. واصبحت مكوناً معلوماً يستطيع المتلقي أن يستنبطه من خلال العنوان الذي استل من فرعيات المتن الشامل للرؤية الموحدة، والتي تضطلع بمهمتها تقنيات فنية -عبر شفرات القصص. التي تكاد تذوب في البعد النهائي لتلك الرؤية.

ولكن القاص يظل يلح من اجل اعطاء تلك القيمة معياراً ثقيلاً في نفسية المتلقي، فيأتي في مفتتح كتابه بمزيج من الفعل القصصي ومقالة السيرة الذاتية المقنعة تحت عنوان "المباهج والآمال" "مائيات". فأراد ان يحمل "بن كوريها الواسطي" من تجربته الانسانية المشحونة بما لا يستطيع التصريح به: "وقد نزل، وحيداً على اديم الورقة، غريباً، في غمار كلي يشده إلى عالم خالص، آسر وجديد" ص٩, وحتى "الواسطي" الواثق من تطريز روح مقامات الحريري، وحمل ما تناثر من سيرورة المبدع نفسه، يبدو له غير مؤهل لفك لغز اشكالية كبيرة في البناء والسرد المنمنم الحكائي: "ماذا يمكن للواسطي في سفر الخلائق ان يقول، وقد بدأ يحرك نول حكايته فقامت من حوله ارواح مخلوقاته المبثوثة في ليل المفاوز والشعاب؟" ص١١,

من هذا نستنتج انه يروم نصاً حداثوياً مفتوحاً يحمل اسئلته ونزعاته الذاتية والموضوعية، غير متأرجح، ويتحرك على ارض مغايرة يتجاوز بها المنظور التقليدي إلى "نص" الكاشف. فيجعل من القراءة اقتراحاً خطابياً، متتالياً، وبديلاً، يؤجج في الذهن افق انتظار يخضع لنظام خاص في العملية الابداعية.

ولعلنا نستطيع ادراك تحول مفاجئ في تحميل "مائياته / نصه" بما لم يستطعه قناعه القيام بذلك. فيقيم علاقات - في تدخل سافر - بين رؤية ازدانت بحياتها اللؤلؤية لتنجز بريقها في الفراغ العدمي، وبين لوحة "غويا" "إعدام الثوار". وكما يعيد ذلك "البرزخ الهلامي" بكائناته اللا شعورية الصلة. بحضارة الانسان الاولى، يعمل "خوان ميرو" على استثارة تلك الروح.

تلك نفحة من القاص الذي اراد ان يبقي الذهن متأرجحاً بين الحلم والواقع. ومن خلل معطيات الدخيلة الانسانية المأزومة بدا نزوعه لتأجيل هذه الدلالات وكشفه عن الاستثارات الواردة في عناصر الرؤية. على الرغم من تفتت الزمن لديه بين ما هو مستنبط من "المنمنمة" وما هو مؤكد في لوحة "غويا" وأعمال "خوان ميرو". ولا يني عن ان يستشرف نفسه في عالم مصائر الآخرين في "المقاطع الخمسة" الاخيرة من "المائيات". ويصعد من تراجيديا "الأنا" المغتربة في مواجهة الواقع، في أمكنة تذوب باستمرار في مفاصل البعد اللا نهائي للانسان. وهذا يعني انتصاره لحياة تظل تتجلى ايحاءاً في مركبات التداعي المنخور.

... في قصة "اغنية حب" التي يفتتح فيها عالمه المركب، يوظف "السارد" معادلاً موضوعياً، يتوازى في حوار غائب، بادئ ذي بدء، لتأكيد تضاد اثيري، يستشرف من خلاله احساساً مباغتاً في غفلة من الامر. فالخوف من المجهول "الموت" الذي خلف في شعوره هزة عنيفة، دفعته إلى ان يستبطن ذاكرته، ويستحضر "فقيداً" نجهل عنه كل شيء، في حلمه مرتين، وثالثة في اليقظة. انه "المهيمن" الذي يخلق تفاصيله في كل حين، وبزمن محدد، حدود فضاء القصة. وبهذا تجسد الرؤيا في عموميتها دلالة تشمل في منحاها معنى "الفراق".

ولا يجد "السارد" في اللغة طاقة لتوصيل احساس يستشري - بتجريد - في عروقه النابضة. فيلجأ إلى لوحة "دي كيريكو" الموحية بعناصرها والتي "تمارس حياتها بسكينة موتى وحيدين" ص١٨, فاللوحة تمتلك استجابتها للسارد من خلال ما تعكسه من الالم والمتعة في آن. فالمسمار الذي ينبت بين القفاز والكرة ورأس التمثال، تثير فيه خوفاً، والماً وقد نشأ هذا بفعل الاستجابة الحاصلة تجاه الحافز في الواقع المؤلم. بينما اللون الاخضر "بقوته الفريدة" يشي بشيء آخر، ويسبب ردود فعل ايجابية، قد تكون الحياة احدى دلالاته: "قميصه الاخضرذو الكمين القصيرين يثير في نفسي رغبة ان احدثه" ص١٩, "كان لون الكرة كافياً ليثير في نفسي احساساً بحضور عيسى" ص١٩, "طلاب عديدون يتخاطفون في الاخضر القوي" ص١٩, ان اختلاط الحلم بالواقع بدا جزءاً مهماً من التقنية القصصية. ومما اعطى لحضورهما الكتابي اهمية التحام الفن البصري المتجسد في اللوحة المنشورة في نهاية القصة، بالشعور الناضج، لحظة القراءة لدى المتلقي، ف "المتعة الجمالية انما هي نتيجة امتزاج النزعات الذاتية بالقدرات المدركة امتزاجاً معقداً".

ان استعارة القاص اسم لوحة "ديكيريكو" عنواناً للقصة، يعطي فرصة لإثارة التساؤل. ويؤكد حالةً من الحيرة، الجمالية التي يتبناها النص. فالتضاد المتجسد بين دلالتي العنوان والنص يتجلى من خلال قوانينه الخارجية. بينما يثير عند المتفحص تصوراً يتعلق بوشائج عناصره "الظاهرة والمخفية" فنجده غير محاصر في معنى ضيق مبتور عن السياق الفعال. وهذا يعني انه يوحي بمناخ يؤكد تواصلاً قادراً على ان يولد من رحم المعنى القلق الذي يستحوذ على النص. وهذا ما دل عليه الحضور اللوني العميق للأخضر.

وفي قصة "العبيد" بدا لي ان القاص قد اختزل كل ارصدة الاسى ومعايير الانضواء تحت سلطات القسوة واللؤم. المبثوثة هنا وهناك في فضاء الكتاب. وفي سيرورة شخصية "سويد" الانسان المحبوس في عالم لا يعبأ به.

وقد مارس القاص انتخاباً لموضوعته من بين العديد من التفاصيل التاريخية التي برقت في سير السرد، والتي كان لها دور كبير في بناء المعنى المهم للمدينة ذات العلاقة. فيلبي نداء النموذج الذي يحمل في ثناياه كل الشد والتوتر، وجو الترقب، وملامح من ازمة فئة تعيش على الهامش: "ولم اكن قد فكرت باي منهم" ص٣٥,

فيبقى "سويد" اليد التي ستتكرر استجابتها الصامتة للرغبات السوداء" ص٣٦, مركز اهتمامه الشديد. في سعي لأن يكون رمزاً درامياً، يرسم من خلال ذلك التسلط، سمات سلوك انسان القوة ومضادها، التي يكشف عنها وجه الحدث.

وهنا لا بد من أن نشير إلى ان "الواقعة التاريخية" لن تكون مهمتها مثاقفةً مجملةً في ذهن السارد، بقدر ما هي كشف لبؤر الخراب، وتأكيد على لحظات تضيء انهياراً في بواطن ابطال معنيين، قد تدوم في ذهن المتلقي اكثر من اللازم وبمعلومات قليلة.

ومواجهة كهذه لا بد من ان تكون على مستواه نفسه ان لم تكن اقوى. وهذا ما تأكد من خلال التكتيك الذي لم يخل بالموازنة. بين الحبكة والايماءات التي اشرنا اليها. "وهي تشكل للزمن معنى واحداً" ص٣٦,

وفي "الصف" تكشف الشخصية الرئيسة عن تجربة عذابات عبر هاجس الادلة والبرهنة في عالم يحوطه الكتمان والتحري. وهو سلم من تلك التي يسعى الانسان بها إلى البحث عن "حريته" الوجودية عبر ما تستبطنه من ارهاصات داخلة في الذات وخارجة عنها. وعلى الرغم من ان تلك الشخصية قد ولجت هذا العالم بمحض ارادتها ولكنها تجد انفعالها حقيقياً وذائباً في بوتقة تلك الطقوس مع "الحضور الغامر والفراغ الطويل" ص٢٤, فيعن لها الخلاص من شرنقة الاقنعة. فيبدو التحول ازدواجاً يتكرر في كل حين. وتكشف عن أوجه معقدة. وما استدعاؤها لشخصية "العم" وفي اوج حالات العجز والاحباط، الاسترداد عالم حلمي لا يعود. هو عالم الطفولة بكل عنفوانه وانطلاقة: "كأن يحملني على كتفيه لأقطف ثمرة بمبر ناضجة" ص٢٦, أن ازمة البطل الخاصة، والتي احاط نفسه بها، لم تأت بمعزل عن ارتباطاتها الاجتماعية والاقتصادية. وعلاقاتها بتناقضات المحيط.

وتلتقي هذه القصة مع قصته "الرمال" بشخوصها الذين يكشفون عن "اغتراب" تمثله اطر التجربة.

فالقصة وفق التكنيك المنجز، بمقاطعها الستة، تبتني ثيمة وهم البحث عن الخلاص من اسار هموم التجربة الفردية.

ومن هنا تنشأ ازمة البطل المثقف الذي يتطلع إلى حل تلك الازمة بالسفر. فيصطدم بجدار "الغربة"، والحياة التي لا تختلف عما كان يرومه لها لأن جل تلك الخلاصة لا يمكن ان تدرك ما لم يكن هناك ادراك واعٍ خلاق لجوهر هذه التناقضات.

وهذا ما ترسمه الرسالة / الوثيقة، في اطار من الضغوط الحياتية القاهرة. "ان القص هنا يبدأ بالتوهج من بؤرة مشعة، يقوم على تماهي المكان. في عملية تحتاز على تكييف الزمن "الخارجي والداخلي" وعلى مستويين يتبادلان الاضاءة. وقد كان وعي القاص حاضراً في محاولته التكنيكية هذه، غير غارق في الشكل التعبيري لوحده. انما نزع إلى ان تتوازى الخطوط مع تطلعات التجربة بكاملها"

إن كتاب العبيد، تجسيد لوعي الكاتب في ادراك المؤثرات المقترنة بالازمات الذاتية والموضوعية على حد سواء. وهي نابعة من يقظة داخل ذلك العالم غير المتوازن في نظرته إلى القيم والاشياء.

ويقدم القاص فيه نموذجه الذي يتكرر في معظم القصص. الانسان الذي يتجاذبه الحلم والوهم والاحباط. في واقع تحكم انسيابيته الغرائز الانسانية. إزاء قوة تهدد جل ممارساته. وهو بهذا يضعه كرغبة جادة امام خيارات محددة في المواجهة لأجل التغيير.

ذكرى بائع الصحف القديم

مهدي محمد علي

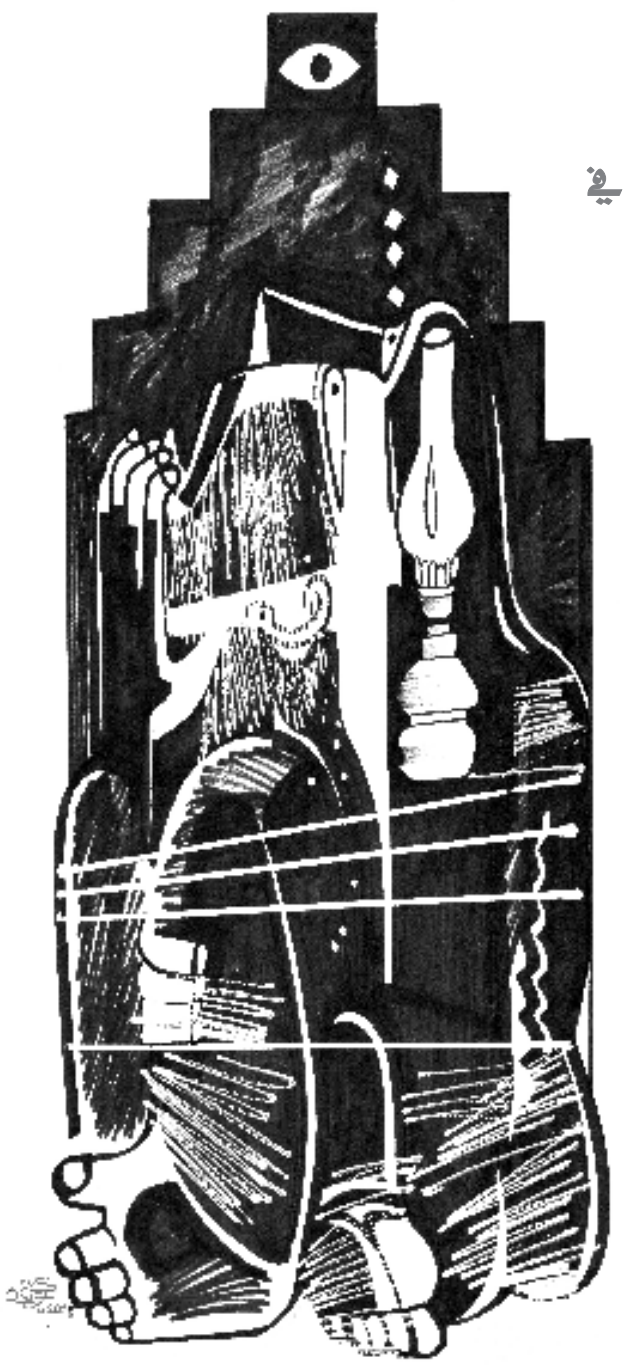

بما يشبه الحلم في يقظة
تمثل لي بائع الصحف الفَذ (وشاح) في
بصرة النخل
مدخل (سوق المغايز / سوق الهنود)
تمثل لي وهو ينادي باسماء تلك
الصحف
على مر تلك السنين:
البلاد..
الزمان..
اتحاد الشعب
وكانت جريرته لا جريدته
(إتحاد الشعب)!
ولاقى الذي يستحق بذاك الزمان
بأسلوب ذاك الزمان
فصار يخبئها تحت كل الجرائد..
يستلها للمريد
يغلفها بجريدة ذاك النظام
فهل عاد (وشاح) في ذا الزمان
أو ابن له
أو حفيد له
يتوكأ مدخل (سوق المغايز / سوق
الهنود).
ينادي باسماء من صحف اليوم
(وهي مئات الصحف)
وهل سوف يدرك هذا الوليد..
وهذا الحفيد
بان جريرته، الآن،
كل الصحف؟!

دائرة الشؤون الثقافية

تعقد ندوة للكتاب

عقدت دائرة الشؤون الثقافية العامة الاسبوع الماضي على قاعة الجواهري ندوة لمناقشة ورقة العمل المقدمة من قبل لجنة التأليف والنشر.

استهلت الندوة بكلمة للسيد جعفر ياسين مدير عام دائرة الشؤون الثقافية العامة، حيث عرض تفاصيل عمل الدائرة التي تتضمن الخطط والبرامج الهادفة والبناءة لديمومة عمل الدائرة بالشكل الذي يسهم في الارتقاء بالفعل اليومي، كما استعرض ابرز الانجازات المتحققة لعام ٢٠٠٤,

ثم القى السيد الوزير كلمة في الندوة اشار فيها إلى انحسار المعوقات التي تعترض سبيل انتشار المطبوع العراقي، موضحاً كيف ان التجربة تمر بظروف جديدة رغم ان هناك رغبة جادة في تجاوز الواقع، وان اللجنة التي تقع على عاتقها اجازة المطبوع يتعين ان توضح الاسباب الموجبة لذلك، وان حصيلة الانجازات جيدة حيث تجاوزت المائة كتاب وهي بداية موفقة.

واكد سيادته على سماع الاراء والملاحظات والاستفادة من الحوارات المباشرة في السنة الجديدة لاصدار الكتاب، مشيراً إلى تجاوز مشكلات النشر وعلى ضرورة ان تأخذ حركة النشر الاهلية دورها لاحداث النقلة النوعية الكبيرة، موضحاً ان مؤسسة حكومية واحدة لا تستطيع بمفردها توفير المطبوعات الكثيرة التي تلبي الطموح، ومعبراً سيادته عن امله في ان تبقى دائرة الشؤون الثقافية القطب الاكثر اهمية للنشر، من خلال وضع خطة اكثر استجابة للاحتياجات في مجال النشر والتفكير في آلية سليمة لتوصيل الكتاب إلى القراء ومناقشة وضع اطر وبرامج تتعلق بتوزيع الكتاب وتقديم كل ما هو ممكن للنهوض بواقع ثقافتنا العراقية.

وتحدث السيد حسب الله يحيى رئيس تحرير مجلة (دجلة) بشأن ورقة عمل لجنة التأليف والنشر مشيراً بهذا الصدد إلى ضرورة طبع الكتب المغيبة سواء من الداخل والخارج، موضحاً ان اللجنة لم تهمل أي مطبوع بغض النظر عن الاتجاه الفكري لكاتبه.

بعد ذلك فتح باب الحوار والنقاش على مصراعيه للادباء والكتاب المشاركين في الندوة لابداء ارائهم ومقترحاتهم فتحدث حنون مجيد وحميد ياسين وعبد الحسين بريسم وشوقي كريم حسن ومؤيد الصالحي ومؤيد البصام وحسن كريم عاتي وطاهر فرج الله وعماد كاظم وفاضل ثامر وعادل عبد الرزاق، حيث طرح الجميع على بساط البحث شؤون المطبوع العراقي وشجونه، لاسيما مشكلات التوزيع وتسويقه إلى مختلف الجهات، فضلاً عن طرح العديد من الآراء بشأن سلسلة الموسوعة الثقافية والنظر في امكانية زيادة عناوين السلسلة لتشمل المجالات العلمية كافة، وهذا وقد اعترض الادباء جميعهم على مبدأ تقليص اعداد المطبوع العراقي مؤكدين ان ذلك لا ينسجم مع تفعيل وارساء ملامح الثقافة العراقية ودورها في مجتمعنا المدني الجديد.

وتحدث السيد خضير اللامي مدير النشر في دائرة الشؤون الثقافية في معرض رده على الاسئلة واجابته على المقترحات بقوله:ان النشر في الدار يحتاج إلى جهد متواصل، وان الدار تتجه نحو طبع الكتاب النوعي بموضوعية تامة دون العشوائية في اختيار النماذج.

فيما اشار السيد كامل شياع عضو لجنة التأليف والنشر مدير عام دائرة العلاقات الثقافية ان المهمة الثقافية تتطلب الموازنة الصحيحة بين طبع الكتاب ونشره.

وطرح السيد جعفر ياسين رئيس لجنة التأليف والنشر هموم الثقافة العراقية بوجه عام، وما يجري العمل به على تحديد الجانب الابداعي الذي يؤشر لحضارة البلد، ووضع الحدود الفاصلة بين هذا الكتاب وذاك، مبيناً ان عمل اللجنة يتطلب المزيد من العلمية والديمومة والتواصل المستمر.

وفي ختام الجلسة التي استمرت ما يقرب من الثلاث ساعات دعا السيد الوزير إلى تحديد النقاط المهمة التي يتعين متابعتها وايلاءها النصيب الاوفر من الجهد والاهتمام سعياً وراء توزيع المطبوع وتدعيم علاقات الدار مع مختلف الجهات بما يكفل استمرارية الاداء الامثل، واضاف السيد الوزير قائلاً: اننا نسعى لتشجيع دور النشر الاهلية وتقوم الوزارة بتعضيد النشر وفقاً لضوابط معلنة، معرباً عن ثقته في مساهمة دور النشر الاهلية في خدمة الحركة الثقافية كما تتابع الوزارة بكل جدية مسألة توفير مصادر تمويل الثقافة العراقية الواعدة الانسانية المزدهرة من نواح عدة.

وحضر الندوة السيد رئيس الاتحاد العام للادباء والكتاب العراقيين وجمهور غفير من الادباء والكتاب المعنيين بالتأليف والنشر.